فهذا اللفظ معناه واحد، لكن المقصود به في كل موضع غير المقصود به في الموضع الآخر. وكذلك قولهم في «الصلاة الوسطى» إذ جعلوا للصلاة وجهًا آخر: «صلاة العصر»!!

فإذا فهمنا هذه الألفاظ على أنها مما يسمى بالمشترك في اللغة، وجدنا الجمع على هذا النحو تزيُّدًا ومبالغة.

أما إن فهمنا كلمة «الوجه» على أنها تشير إلى أي تغيير في المقصود باللفظ في موضعه، لم نجد إذن مأخذًا في اعتبار هذه من ألفاظ الوجوه، وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن مؤلفي هذه الكتب كانوا مفسرين، يشرحون معاني القرآن واستعمالاته ومقاصده، لا معاني اللغة واستعمالاتها.

فمن الطبيعي إذن ألا يكون «الجمع في الألفاظ المشتركة» لأن الإشكال ليس إشكالاً لغويا يبحث ظاهرة الاشتراك في أحد التطبيقات اللغوية: النص القرآني، إنما هو تفسير يحاول إدراك مقصوده سبحانه وتعالى بالألفاظ في السياقات أو المواضع التي سيقت فيها.

فإذن «الوجوه» اصطلاح يدل على المعاني المختلفة للفظ واحد أو على المقاصد المختلفة من اللفظ الواحد في السياقات أو المواضع المتعددة.

هذه المعاني والمقاصد قد يربط بينها رابط نتبينه، كالتواطؤ أو غيره مما لم يكن موضع بحث المفسرين، أو لا نتبينه لغموض العلاقة أو لقدم الألفاظ حيث ضاعت أصول معانيها القديمة لما اعتراها من التطورات الدلالية عصراً بعد عصر حتى تغير لونها وظاهر شكلها (*).

فالوجوه إذن ليست ألفاظًا مشتركة، وبحث الألفاظ المشتركة ليس هو الهدف من وراء التأليف في علم الوجوه والنظائر، وقد تكون بعض الألفاظ في هذه التآليف، أو كثير منها، من الألفاظ المشتركة، لكن المشترك ليس هو كل مادة هذه الكتب وليس هو أصل بحثها.

وإلا فما تفسير الكثرة الكاثرة من الألفاظ الموجودة في كل كتب الوجوه وهي ليست مشتركة؟! ولعل كثرة المشترك فيها، وغلبته عليها، كانا هما السبب في شيوع هذه الفكرة عنها.

والوجوه ليست ألفاظًا أصلاً، بل الوجوه معان ومقاصد استدل عليها المفسرون من

(*) ويدرس هذه التغيرات فرع من فروع علم اللغة يعرف بـ Etomology.